

السؤال الإيتيقي في الفلسفة والشعر العربي المعاصر

The ethical question in contemporary Arabic philosophy and poetry

د. إيمان محمد ربيع بالو

وزارة التربية والتعليم القطرية، قطر

kalimat.abed2017@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2025/8/12 - تاريخ القبول: 2025/8/30

25
2025

الإحالة إلى المقال:

* د. إيمان محمد ربيع بالو: السؤال الإيتيقي في الفلسفة والشعر العربي المعاصر، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد الخامس والعشرون، سبتمبر 2025، ص 43-61.

<http://annalesdupatrimoine.wordpress.com>

السؤال الإيتيقي في الفلسفة والشعر العربي المعاصر

د. إيمان محمد ربيع بالو

وزارة التربية والتعليم القطرية، قطر

الملخص:

تهدف الدراسة إلى التفريق بين مفهومي؛ علم الأخلاق والفلسفة الإيتيقية، والوقوف على مكانة الأخلاق من الفلسفة، وهي دراسة مقارنة تبين عرضا للقيم الأخلاقية في الفكر الفلسفي اليوناني عند كل من أفلاطون وأرسطو وعند الأيتقوريين والرواقيين، وأيضا تورد الدراسة حديثا عن مفهوم الإيتيقا في الفلسفة المعاصرة عند كل من ديكرت وفوكو ودولوز وباديو وسبينوزا وريكور؛ مما يبعث إلى التفريق بين المفهومين "الإيتيقا وعلم الأخلاق" عند الفلاسفة، انتقالا إلى توضيح ارتباط علم الأخلاق بالشعر عامة وعرض آراء بعض الفلاسفة في ذلك، منهم الفلاسفة المسلمين؛ الفارابي وابن سينا وابن رشد. وصولا إلى البحث عن كيفية ورود السؤال الفلسفي الإيتيقي في الشعر العربي المعاصر، وكيف أثار الشعراء الأسئلة الفلسفية الإيتيقية في أشعارهم؟

الكلمات الدالة:

إيتيقيا، علم الأخلاق، الفلسفة، الفلاسفة المسلمون، الشعر.



The ethical question in contemporary Arabic philosophy and poetry

Dr Eman Mohammad Rabee Balou

Qatari Ministry of Education, Qatar

Abstract:

This study seeks to draw a clear distinction between moral science and ethical philosophy, while highlighting the place of ethics within philosophy. It is a comparative exploration that presents the treatment of moral values in ancient Greek thought, as seen in the works of Plato, Aristotle, the Epicureans, and the Stoics. The study also addresses the modern conception of ethics in the philosophies of Descartes, Foucault, Deleuze, Badiou, Spinoza, and Ricœur, offering insights into the philosophical expansion of ethics versus moral science. The discussion then turns to the relationship between moral philosophy and poetry in general, presenting the views of several philosophers, including the Muslim thinkers Al-Farabi, Ibn Sina, and Ibn Rushd. Ultimately, the research

investigates how the ethical-philosophical question emerges in contemporary Arabic poetry, and the ways in which poets have stirred such ethical inquiries through their verses.

Keywords:

ethics, moral philosophy, philosophy, Muslim philosophers, poetry.



المقدمة:

بدأ مفهوم علم الأخلاق عند الفلاسفة اليونانيين أفلاطون وأرسطو، واتخذ من الفلسفة جانبها العملي، وقد كان من الفلسفة بمثابة الجزء من الكل، كما ارتبط المفهوم عند أفلاطون بـ"الخير الأسمى والفضيلة" التي تؤدي إلى سعادة الفرد والمجتمع، كما أن الأخلاق الأرسطية هي أخلاق سعادة، تركز على البدن والنفس وتسم بالواقعية، وقد اتخذ الأبيقوريون من فلسفة الأخلاق وسيلة للهروب من الواقع والبحث عن السعادة، كذلك الرواقيون الذين رأوا أن السعادة تكمن في الفضيلة.

أما الأخلاق في الفلسفة المعاصرة (الإيتيقا)، فقد اتخذت شكلا آخر، ونزلت من الأخلاق منزلة التطبيق والبعد عن التعالي، وناقشت قضايا حياتية يعيشها الفرد والجماعة؛ وهذا بسبب الأحداث التي عاشها المجتمع من قتل ودمار وحروب وغيرها، فقد ظهر الكثير من الفلاسفة الذين اتخذوا من فلسفة الأخلاق الإيتيقية وسيلة الخلاص من الواقع ومحاولة الوصول إلى السعادة، وكان لهذا أثر في تنوع الفلسفة الإيتيقية الأخلاقية، فالفيلسوف يبحث عن السعادة وفقا لخلفيته ومرجعياته الثقافية، ومثال ذلك؛ فلسفة ديكارت الإيتيقية التي بنيت على التفكير والشك المطلق، أما فلسفة دولوز الإيتيقية فتنبني على الوجودية (الموت والحياة)، وقد ارتبطت عند سينيوزا بالوجود النهائي الأبدى... إن هذا التنوع في الخلفية الفلسفية ولد اختلافًا بين الفلسفة الأخلاقية والإيتيقية، وعلى الرغم من تعدد جوانب الفلسفة الإيتيقية، إلا أنها تلتقي مع فلسفة الأخلاق في كونها تسعى للبحث عن السعادة لكن بطرق مختلفة.

أما وجود علم الأخلاق في الشعر فكان للفلاسفة آراء متنوعة حول ذلك ومنهم أفلاطون الذي رأى أن الشعر مرتبط بغايات أخلاقية، ووافق أرسطو حيث رأى أن الشعر ينهض بوظيفة أخلاقية أساسا، وأيضا ربط الفلاسفة المسلمون الأخلاق بالشعر وجعلوه محرضا للخير أو الشر، فكان لفلسفة الأخلاق مكان واضح في الشعر، لكن ماذا عن مفهوم الإيتيقا؟ هل حضر في الشعر العربي المعاصر؟

يرى بعض العلماء أن ظهور الفلسفة الإيتيقية في الشعر العربي المعاصر جاء من خلال أسئلة فلسفية يطرحها الشاعر تعبر عن فلسفته وفكره، حيث أن الإيتيقا المعاصرة يتخذها الفرد سبيلا للوصول للسعادة بأشكال متنوعة.

ويحمل السؤال الإيتيقي في الشعر العربي المعاصر القارئ للبحث في أعماق النص ومحاولة إخراج مكنوناته، وينقله إلى عالم مليء بالأفكار واللغة الرمزية المحملة بالأعباء، هذه اللغة التي تجبر قارئها على الغوص للوصول إلى العمق وضرورة التأويل. ومن هنا ينتقل الفرد من مفهوم الإيتيقا إلى الهرمونيوطيقا. إن ما سبق عرض موجز لأهم ما تناوله الباحث في عرضه، فتناول التعريف بعلم الأخلاق ومفهوم الإيتيقا، ومكانة الأخلاق من الفلسفة، وعارضا أهم ما جاء عند الفلاسفة اليونانيين في فلسفة الأخلاق، وتطور الأخلاق إلى الفلسفة الإيتيقية عند الفلاسفة المعاصرين، ثم انتقل الباحث للحديث عن الأخلاق في الشعر، وصولا إلى السؤال الإيتيقي في الشعر العربي المعاصر ومحاولا الإجابة عنه.

1 - سؤال الإيتيقا في الفلسفة، بين مفهوم الإيتيقا وعلم الأخلاق:

الأخلاق جمع خلق، ومرد معناه في اللغة العربية وغيرها إلى معنى العادة، فوجد صاحب لسان العرب يقول: واشتقاق خَلِيق وما أخلقه من الخلقة وهي التمرين، من ذلك الذي ألف شيئا، صار ذلك خلقا أي مرن عليه، ومن ذلك: الخلق الحسن، وفي اللغات الأوروبية (ethique) إيتيك، وهي اسم هذا العلم في اللغة الفرنسية، وترجع إلى كلمة إيتوس (ethos) الإغريقية، ومعناه العادة⁽¹⁾.

ويكمل ابن منظور: والخلق بضم الميم وسكونها: هو الدين والطبع والسجية⁽²⁾. وقد جاء عند باسكال إن "الأخلاق علم الإنسان" وكذلك له مفاهيم أخرى منها "علم الخير والشر" و"دراسة الواجب والواجبات" أما التعريف الدقيق لعلم الأخلاق ف"إنه علم القواعد التي تحمل مراعاتها المرء على فعل الخير وتجنب الشر، ويصل بالعمل بها إلى المثل العليا للحياة" أو "علم القواعد التي تسيّر عليها إرادة المرء الكامل في أعماله ليصل للمثل العليم" ذلك أن الأخلاق لا تبحث في حياة الناس الراهنة، أي من ناحية أعمالهم على ما هي عليه، بل من ناحية أعمالها على ما يجب أن تكون عليه، أي في الحياة التي يجب أن يحيوها ليحفظوا ما خلقوا له من الكمال.

والحديث في علم الأخلاق ينقلنا للبحث في موضوعاته، وقد رأى الفلاسفة أن موضوع علم الأخلاق هو الأعمال الإنسانية الإرادية أي الصادرة عن تفكير وإرادة من هذه النواحي المتشعبة كلها... حيث يبحث علم الأخلاق في الأعمال الإرادية والأعمال التي وإن كانت وقت صدورها لا دخل للمرء فيها ولا صلة له ولكن كان من الممكن للمرء الاحتياط لها حين كان المرء في فسحة من الوقت له⁽³⁾. وعلم الأخلاق فلسفة علمية فيجتهد الإنسان في تقرير ما ينبغي أن يكون، وبتعبير آخر هو علم سلوك الإنسان وعاداته⁽⁴⁾.

وقد جاءت دراسة علم الأخلاق كوسيلة ناجحة من وسائل التربية والتهذيب لأن البحث في الفضائل وتبين حسن عاقبتها وتعرف الرذائل وسوء مغبتها، وكذلك دراسة كثيرين ممن كانوا في حياتهم العملية مثلاً سامية للفضائل، كل ذلك يستهوي الدارس ويغريه بالتحلي بالفضيلة والتخلي عن الرذيلة. هذه غاية أولى، أما الغاية الثانية؛ فهي أن دراسة الأخلاق تكسب صاحبها القدرة على تقيص الأعمال ونقدها وتقديرها حق قدرها دون أن يخضع في حكمه إلى إلف أو عادة أو يتأثر بحكم الزمان والمكان، إنها كما يقول أرسطو المعلم الأول في كتابه علم الأخلاق: تشد من عزم بعض فتیان كرام على الثبات في الخير، وتجعل القلب الشريف بالفطرة صديقاً للفضيلة وفياً بوعدها.

في اليونان القديمة كان سقراط مؤسس الأخلاق يأمر بأن يكون المرء سيد نفسه، بالشجاعة وبالعدالة إلى غير ذلك من الصفات الأخلاقية العامة، وفي قول له لتلميذه كريتون: "لا يجب أن نجتري أي ظلم حتى ولو كنا ضحايا لظلم الآخرين، وعمل الشر للغير هو الظلم بعينه، لا يجب مقابلة السيئة بمثليها"⁽⁵⁾.

أما مكانة الأخلاق من الفلسفة فقد تكونت الفلسفة عنصرتين اثنتين: أحدهما نظري عقلي يتعلق بالمعرفة ويشمل الفلسفة الإلهية أو فلسفة ما بعد الطبيعة، والآخر عمل أخلاقي يتعلق بالعمل والعلم وسيلة له ويشمل فلسفة الأخلاق، والفلسفة المنزلية والسياسية وهذا التقسيم هو جوهر تقسيم أرسطو طاليس وقد استوحى المسلمون منه وجعلوه أساسا لهم وما يوجد بينهم وبينه من اختلافات بسبب ما تأثرت به الفلسفة اليونانية في طريقها للمسلمين وما أضيف له من فروع وبحوث إن الخلاصة تقول إن علم الأخلاق فرع من فروع الفلسفة الإنسانية أو النفسية والتي هي قسم من أقسام الفلسفة العامة، فمكانة علم الأخلاق هي مكانة الجزء من الكل⁽⁶⁾.

2 - القيم الأخلاقية في الفكر الفلسفي اليوناني:

تقسم الأخلاق عند أفلاطون ثلاثة أقسام رئيسية: يتجه القسم الأول في الخير الأسمى، وقد ربطت بين الغاية والباعث من الأخلاق وهي تحقيق السعادة كما في الفلسفة السقراطية. وعند أفلاطون منسجم مع نظريته المتعلقة بالمثلي، فالوجود الحقيقي عنده هو وجود الصور، أما ما يتعلق بالوجود المحسوس فلن يكون خيرا بالمعنى الصحيح، ومن هنا تتضح نظريته، كلها ابتعدت النفس البشرية عن الجسم واتصلت بالصورة كان الإنسان محققا لدرجة أكبر من الخير والحديث عن الخير.

أما القسم الثاني؛ الفضائل، الفضيلة في نظر أفلاطون هي العمل الحق على أن يكون صادرا عن معرفة صحيحة بقيمة الحق، تقوم على الرؤية والتفكير، وهو هنا لا يخرج عن أستاذه سقراط في فلسفته.

والقسم الثالث؛ السياسة، فقد عالج أفلاطون المسائل السياسية عن طريق

الأخلاق فجعل منها منهجا لتهديها، فالفلسفة السياسية والأخلاقية لأفلاطون متلازمتان، فالسياسة هي امتداد للأخلاق بحيث لا يمكن بناء مجتمع قوي دون أخلاق قوية تسم بالعدل والفضيلة⁽⁷⁾. "والنتيجة النهائية التي يمكن أن تستنبط من مذهب أفلاطون الأخلاقي هي التسليم بأن في الإنسان مبدئين مختلفين: أحدهما يدين إلى الله، وهو ما تجب له السيادة، والآخر يبعد عن الله ويقرب إلى البهيمية..."⁽⁸⁾.

والأخلاق الأرسطية لا تخرج عن الهيكل الذي انبثقت منه الأخلاق اليونانية، على أنها أخلاق سعادة، وكان أرسطو من أكثر الفلاسفة وضوحا في تبيان الغاية من الأخلاق، وقد حظي باهتمام الكثير من المفكرين والفلاسفة من بعده وامتد تأثيره إلى فلاسفة الإسلام ومنهم ابن رشد، يقول أرسطو: إن فعل الخير والنجاح وتحصيل السعادة ألفاظ متعددة تدل على معنى واحد فحسب، فما هي حقيقة السعادة عند أرسطو؟

أولا يؤكد أرسطو على وجود بدن ونفس، وأن النفس أو الصورة حسب أرسطو لا يمكن أن تكون في معزل عن البدن، وبهذا يختلف عن نظرة أفلاطون الذي يرى أن النفس جوهر روحاني موجود قبل وجود البدن وسيظل بعده. إن نظرة أرسطو للسعادة لا تخلو من النظرة المادية التي تؤكد على النجاح المادي لبلوغ السعادة، لذا تميزت نظرة أرسطو للأخلاق بالواقعية. كما أن الفضائل عند أرسطو فضائل عقلية كالعلم والفن والحكمة وفضائل أخلاقية كالشجاعة والكرم والعفو وهي تكتسب بالتعود والممارسة⁽⁹⁾.

وقد ظهرت فيما يلي الأخلاق الأبيقورية، وهو مذهب فلسفي ينسب إلى أبيقور يقوم على إسعاد الذات بلذة معنوية لا يعقبا ألم، نشأت كرد فعل على واقع اجتماعي عرف أزمتا كثيرة فقدت فيه المدن اليونانية استقلاليتها وسعادتها، فانتشرت الفوضى وعمّ القلق فصار الإنسان يخشى شر غيره، فكان الطب والفلسفة مهمة إصلاح الوضع، فتكفل الطب بعلاج أمراض الجسم، وكان على الفلسفة أن تعالج أمراض الفكر.

إن المقياس الذي يقاس به هنا خيرية الفعل من شرّيته هو اللذة والألم، حيث يقول أبيقور: "إن مقياس الخير هو اللذة ومفارقة الألم، وهذا شيء لا حاجة بنا إلى البرهنة عليه، فالطبيعة في كل أنواع سلوكها... يكفي أن تشاهد سلوك الإنسان في كل أدوار حياته من ميلاده حتى الموت، فإننا سنجد قطعاً أنه يرمي دائماً إلى تحصيل اللذة والابتعاد عن الألم"⁽¹⁰⁾. فقد جعل أبيقور من اللذة غاية الحياة، فكل موجود يصارع من أجل اللذة، واللذة هنا هي غياب الألم بالإضافة إلى طمأنينة النفس وصحة البدن⁽¹¹⁾.

تبع الأخلاق الأبيقورية الأخلاق عند الرواقين؛ وهو مذهب فلسفي اسمه زينون (zenon) وهو الفيلسوف صاحب المذهب، كان يعلم تلامذته في رواق، ويرى الرواقيون أن السعادة في الفضيلة⁽¹²⁾. وكما يقول الرواقيون بعبارة أخرى نحن نبلغ المثل الأعلى الأخلاقي عندما حب كل البشر كما نحب أنفسنا، أو عندما يشمل حب أنفسنا كل ما يرتبط مع الذات"⁽¹³⁾ وقد بنى الرواقيون فلسفتهم على أقوال سقراط، حيث يرى "أن الفضيلة فيها الغناء عن كل شيء وأن الحكيم يقضي حياته في وفاق مع الطبيعة مستقلاً حراً"⁽¹⁴⁾.

3 - الإيتيقا في الفلسفة المعاصرة:

اقتربت الفلسفة المعاصرة بجرأة من الواقع ومن الحياة التي يعيشها الإنسان المعاصر، وأصبحت الحياة موضوع الفلسفة الأول، لقد نزع الفيلسوف المعاصر عن نفسه قدسية الحياد ونزل إلى أرض الحياة، ليتأول أحداثها وينظر في حيثياتها وأضحى مثله مثل أي إنسان يعيش الحدث من الداخل ومن العمق بما هو جزء من منظومة مجتمعه وواقعه بتعقيداته وتحولاته المختلفة⁽¹⁵⁾.

إن ما يعيشه العالم اليوم من خراب وحروب وقتال وعنف منظم؛ جعل الفلاسفة يطرحون قضية الأنا والآخر من منظور فلسفي، حيث يركز الهم الفلسفي المعاصر على إقامة إيتيقا جذرية كلانية قائمة على مفاهيم عالمية للمواطنة والفضاء العمومي والأنسنة والاختلاف... وهذه النظريات الإيتيقية على جديتها تبقى دوماً على تواصل مع التراث الفلسفي الأخلاقي وهي إن تتجاوزه فإنها تحتفي بمقولة

التطبيق دون الوقوف على الطابع المتعالي الذي حكم لتفلسف في الأخلاق قديما، ففي فرنسا تبرز أسماء أمثال (فوكو ودولوز وباديو، كفلاسفة إيتيقيين بالدرجة الأولى⁽¹⁶⁾). فكيف نظر هؤلاء الفلاسفة إلى الإيتيقا؟ وهل فرقوا بينها وبين علم الأخلاق؟

تعد فلسفة ديكرت عامة والأخلاق خاصة، وذلك لأن ديكرت يقتضي الشك المنهجي قاعدة أخلاقية مفادها الصرامة في الفعل باعتماد الأفكار الأقل شكا والأكثر يقينا، ثم الاعتقاد في أن الذي نمتلكه حقا هو أفكارنا للوصول إلى الحقيقة التي مختصرها أننا نريد ما نقدر على ما نريده لتجنب أخطار كثيرة، إن التفكير الديكرتي قائم على منظومة الفكر الديني برفض التوجه إلى الحرية والتفكير استجابة للطبيعة الإنسانية، كما أنه نتاج الإقرار بأهمية العقل الذي يقارب بين الفلسفة والإله، كأن يحتل الطبيعة الإنسانية حتما إلى الطبيعة الإلهية، ويسعى إلى التفكير بما هو أبعد من الحواس وظاهر الجسد، أي العقل الذي يعلو بالميتافيزيقا لمقاربة الإله ينتهج سبيل الشك بالعقل لبلوغ يقين ما⁽¹⁷⁾.

أما فلسفة فوكو، فقد استبدت به فكرة الحياة، وقدرة الذات على العيش بمعزل عن رعب السلطة، ففكر في التفكير بشكل مختلف في الذات وعلاقتها بنفسها وبالآخرين، وقد عبر عن إيتيقا الجنس / الرغبة، أنها تجعل من الإنسان يتجدد باستمرار من دون وعي تجعله ينظر إلى العالم برؤية مختلفة، إن هذه الإيتيقا هي وحدها ما يجعل الإنسان يجدد علاقته بذاته وبالعالم بصورة دورية آلية، حيث يرى أن الذات تنسى بأنها موجودة مع الآخر في العالم، وحدها الرغبة في الجنس ما يكشف عن الآخر وجوده، وجود قائم على الرغبة في الحياة⁽¹⁸⁾.

يستتبع جيل دولوز المناقشة الإيتيقية لمسألة الحياة، أو لماذا هذا التشبث بالحياة ولماذا الخوف من الموت؟ فيرى أنها الرغبة المفطورة في ذاتية الذات، الحياة هنا محايثة المحايثة⁽¹⁹⁾، وقد وضع بسام قطوس مفهوم المحايثة بقوله: "ملازمة التجربة الفنية كتعبير مجسد للتجربة الإنسانية في عمقها، وهذا التحاith يمنح الإبداع وجودا مستقلا يبدأ فيه عالم الاختلاف والغيرية"⁽²⁰⁾، إنها الإمكان

كله، لكن: لماذا الرفض بالتسليم بشروط الحياة؟ ولماذا الأعداء مع الموت بوصفه العود الأبدي؟، إن هذا الإبداع الإيتيقي للعالم جعله بمثابة المقام الرفيع للفلسفة، وهنا قد أشار بسام قطوس في كتابه "درويش على تخوم الفلسفة"، إلى إيتيكا دولوز في قوله: "إن التفكير في الحياة لا ينفصل عن التفكير في الموت، وتبدو الحياة من وجهة نظر الإيتيكا بالغة التعقيد قد لا تدرك إلا في علاقتها بالموت كطرف مقابل يمثل معضلة"⁽²¹⁾.

وقد استمر تفكير الفلسفي دولوز مع المفكر القدير "ألان باديو"، والذي أرجع كل من الجنس والرغبة والحياة إلى الحب، لا حياة ولا جنس في غياب الحب، الحب هو المنطق والمآل، إنه بالرغم من أن حب حدث مفتعل وانفعالي وقائم على إرادة المصادفة وسيفساء من الأهواء غير المتوقعة، وبالرغم مما يحمله من مخاطرة، إلا أنه يبقى بمثابة إرادة المواصلة وإرادة العيش، العيش لأجل الآخر من أجل إبعاده، إنه بناء للحرية، وبحث عميق للغير وللآخر المختلف، ولذا فإنه يتأسس على المغايرة لأعلى المطابقة، فهو دائماً يقودنا إلى العيش من منظور آخر مختلف، إن الوجود بمعزل عن الآخر وهم خالص، فليس الوعي بالذات هو في ذاته ولذاته كما يذهب الكسندر كوجيف، تلميذ هيجل، وإنما هو الوعي بالذات هو وعي دائم بالآخر على ما يذهب ماكس شيلر، وليس الآخر عدو الأنا مثلها أكد باسكال وإنما هو صورته بتعبير جوديث بتلر.

إن وحدة الوجود هو الفكر الأساس في فلسفة سيبينوزا وكان له أثر عميق في الفلسفة الغربية، فالوجود بالنسبة له لا نهائي وأبدي، حيث في كتابه الإيتيكا انتهج كتابه بالتجريد الرياضي تفكيراً في الكل، في الخير لتحقيق سعادة الروح المطلقة الكاملة وفي الحب كما أن بدء الحقيقة أو الطريقة إليها لا يكون إلا ابتداء من الإله والعود إليه، لأن الإله هنا يحفز على الحرية، مطلق لا نهائي رافض للحد والعجز محرض على الإرادة والفعل والمحبة وهو إله أكثر من خالق لتجاوزه فعل الخير بالأبدية، إن هذا الإله الواحد المطلق اللاحدود هو الذي فتح التفكير الفلسفي الغربي بقوة وافتنان على الأبدية والجمال والعدل والخير والمحبة⁽²²⁾. "فعلم

الأخلاق حسب سيبينوزا، مطلوب فيه أن يقود بالتدرج صوب الخير الأعظم فأخلاق السعادة وفلسفة الفرح تعلم الإنسان كيف يضمن لنفسه أكبر عدد من انفعالات الفرح، وأقل عدد من انفعالات الحزن⁽²³⁾.

أما النظرية الأخلاقية عند ريكور فقد بذلت الجهد في سبيل توضيح الأسس التي تتركز عليها الفلسفة الأخلاقية منذ أرسطو وهيكل بالمرور بالرواقية وسبينوزا وكانط وحفرت في شروط إمكان تطورها فإن ذلك قد يرجع إلى الحوارات المعلنة والمضمرة الذي أجرتها مع الأنطولوجيا الأساسية عند مارتن هيدجر، والإيتيقا من حيث هي فلسفة أولى عند عامونيال ليفيناس والتي وصلت إلى حدود الاستيعاب والتجاوز. ما هو متعارف عليه عند مؤرخي الفلسفة المعاصرة أن هيدجر قد أوجد أنطولوجيا بلا أخلاق وأن ليفيناس قد شيد إيتيقا بلا أنطولوجيا وأن ريكور فكر في التفصيل بين الميتافيزيقا والأخلاق وأقر بالتكوثر الإيتيقي وحاول تدارك ما فات مارتن هيدجر من أبحاث أنثربولوجية وما أهمله عامونيال ليفيناس من أبعاد أنطولوجية حول الذات⁽²⁴⁾.

4 - بين علم الأخلاق والإيتيقا:

بعد ما تقدم عرضه حول علم الأخلاق والإيتيقا لا بد من توضيح للفرق بين المصطلحين، فهل علم الأخلاق هو الإيتيقا؟

إن لفظة الأخلاق تُحِيل إلى مجموعة من القيم المعيارية الكبرى التي لا تخاطب فرداً بعينه، وتُمكّن الناس من التمييز بين الخير والشر، وبين العدل والظلم، وبين الجمال والقبح، وهي ذات حمولة انفعالية وغالباً ما تكون محل توافق عام، في حين أن الإيتيقا، أو فلسفة الأخلاق، هي تفكير منطقي تُحَدِّث به المجموعة الاجتماعية مساءلةً لمنظومة الأخلاق ذاتها، وتنتهي منه إلى تحديد ممكّات وجود بشري يُحقّق فيه الفرد، فعلياً، الخيرَ الأسْمَى الذي هو السعادة الأرضية⁽²⁵⁾.

وقد نجد هامبرماز يفرق بين كل من الأخلاق والإيتيقا في كتابه "إيتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة" حيث يقول: "إن مفهوم الإيتيقا بما هو بحث في التأصيل الفلسفي، واستكشاف لعلوم الإنسان المتعلقة بالقيم السلوكية مفهوم قديم يمتد

بجذوره إلى أفلاطون وأرسطو وكانط وسبينوزا ونيتشه، ولكن الذي تغير هو طبيعة المقاربة المعاصرة لهذه المسألة جراء التراكمات المعرفية والتعقيدات النبوية التي عرفتھا المجتمعات المعاصرة التي ترفض كل إيتيقا باسم الإيتيقا ذاتها، لذا فإن الإيتيقا تبدو وكأن مجال اهتمامها هو الجهد النظري المبذول بلورة المبادئ التي تنظم علاقاتنا مع الآخرين، في الوقت الذي تحتفظ فيه الأخلاق بمهمتها التاريخية البدئية وهي وضع المبادئ موضع التطبيق والممارسة"⁽²⁶⁾، وهنا فرق هابرماس بين الأخلاق والإيتيقا على أن الأخلاق مهمتها بدائية بدأت مع الفلاسفة أرسطو وأفلاطون، إلا أنها تطورت لتبحث في الجانب الفلسفي وهو الإيتيقي وهذه الفلسفة تطورت وتعمقت على أيدي الفلاسفة بسبب تراكم المعرفة، فلم تبقى في الجانب النظري.

إن ترجمة كتاب سبينوزا (الإيتيقا)، إلى علم الأخلاق جعلت للمصطلحين دلالة واحدة، لكن عند العودة إلى ما تقدم عرضه نجد أن المصطلحين متضادان، وهذا ما أشار له عادل حدجامي في مقالته: "فيزياء الفكر" حيث يقول: "هي ترجمة في نظرنا خاطئة، لأن مفهوم الإيتيقا لا يمكن أن يفهم... إلا كمقابل ونقيض مفهوم الأخلاق الديني"⁽²⁷⁾، وأجد نفسي مؤيدة لهذا الرأي، فبالعودة إلى الحديث عن علم الأخلاق عند اليونانيين القدماء تجدهم يبحثون عن السعادة من خلال ممارسة الأخلاق بمعناها الخير والبعد عن الشر، عند كل من أفلاطون وأرسطو وسقراط وأبيقور والرواقين، لكن عند الحديث عن الإيتيقا في الفلسفة المعاصرة نجد المفهوم تبدل وتضخم، وذلك عند فوكو ودولوز وسبينوزا أصبح يبحث عن العلاقة بين الأنا والآخر، البحث عن السعادة بأي شكل من أشكالها عن طريق الرغبة أو الحب أو الفكر الخالص كما عند ديكرت أم في الوجود ووحدته كما عند سبينوزا، فنلاحظ أنها تجاوزت حدود الأخلاق، فالسعادة تكمن في تغيير زاوية النظر إلى الموجودات وإلى العالم لكن المشترك المتبقي بينها برأيي هو البحث عن السعادة.

هكذا يمكن التمييز بين تصورين للوجود والعالم: التصور الأخلاقي، المبني على

الخط من قيمة الوجود. التصور الإيتيقي، الذي يؤكد على براءة الوجود.

5 - علم الأخلاق والشعر:

إن فلسفة أفلاطون فلسفة بناء، بناء الفرد المؤدي إلى بناء المجتمع، لهذا نجد أفلاطون يركز ويؤكد على ضرورة ارتباط الشعر بالغايات الأخلاقية، التي من شأنها أن تبني الفرد والمجتمع، فتراه رافضا لقصص الآلهة والأبطال الذين يقومون بتصرفات غير أخلاقية، وهذا ما يؤكد مطالبته وإلحاحه لخضوع جميع الشعر وسائر الفنون للرقابة، ويقول بعدم إعطاء الشاعر أو الفنان الحرية المطلقة، إنما يحد إبداعه بالالتزام بالحقيقة الأخلاقية⁽²⁸⁾.

تتضح فكرة ارتباط الأخلاق بالشعر لدى أفلاطون بأن استبعد الشعراء واستبقى على الشاعر الذي يعتني في شعره محاكاة أعمال الخيرين، غير أن الموقف تبدل وتغير مع الوقت، فأقصى كل شعر قائم على المحاكاة واستبقى الشعر القائم على مدائح الآلهة وللناس الخيرين... وقد رفض أفلاطون الشعر القائم على المتعة، فقد ربط الشعر بهدف أخلاقي⁽²⁹⁾.

ينهض الشعر عند أرسطو بوظيفة أخلاقية، وهو يبني رأيه على ما جاء عند أفلاطون، لكن لا يرى كما رأى أفلاطون أن الشعر يفسد الأخلاق، وقد دافع عن فكرة المتعة في الشعر التي رفضها أفلاطون، على أساس أن مهمة الشعر هي التطهير، وهي طرد الزائد من العواطف، أما صلة أرسطو بالأخلاق تظهر فيما ينص عليه أرسطو أن المأساة محاكاة لأعمال أبطال خيرين في الغالب⁽³⁰⁾.

6 - الأخلاق والشعر عند الفلاسفة المسلمين:

"ظهرت غاية الشعر الأخلاقية التربوية عند الفارابي، فأصبح له دور مباشر في تقويم الجانب العملي الأخلاقي الذي يهدف في النهاية إلى الخير، وهذه النظرة هي التي دفعت الفارابي إلى رفض الشعر الذي ينافي في مضمونه وغاياته ذلك المضمون وتلك الغايات التي حددها، فهو يرفض الشعر الذي يثير الغرائز والانفعالات التي تضر به فيقدم الإنسان على فعل القبيح ويخرف عن طريق الجادة"⁽³¹⁾. وقد التقي الفيلسوفان ابن سينا وابن رشد مع الفارابي في نظريته

الأخلاقية، وذلك بأن الشعر يقوم بتقويم النفس الإنسانية وتوجيهها إلى الخير الذي يؤدي إلى السعادة⁽³²⁾.

وعليه، ربط الفلاسفة المسلمون الأخلاق بالشعر على أنها دافع ومحفز وموجه للنفس الإنسانية، فالشعر القائم على الخير يقود المتلقي إلى فعل الخير والصالح، أما الشعر الذي يقوم على السلوكيات غير المرغوبة بالنسبة للمسلمين، فهي محفزة لمتلقيها للسير وراءها، وهو ما يرفضه الفلاسفة المسلمون؛ لأن الغاية ليست تحقيق السعادة التي يراها الفلاسفة الغربيون، فالسعادة هنا تكمن في فعل الخير، أما السعادة لدى بعض الفلاسفة فتعلق بتحقيق اللذة لدى الأفراد، وهذا قد ينافي الأخلاق.

7 - السؤال الفلسفي الإيتيقي في الشعر العربي المعاصر:

قبل بدء الحديث عن علاقة الفلسفة الإيتيقية بالشعر، كان لا بد من الحديث عن ارتباط الفلسفة والأسئلة الفلسفية بالنص الشعري، وتوضح هذا صفاء عبد الحفيظ، في قولها: "إن الفلسفة كما عرفناها هي محاولة لمواجهة الأسئلة الكبرى والمقولات الكبرى والحقائق الكبرى، كالحياة والموت والألوهية وحقيقة الوجود وحقيقة الإنسان ومصيره، إنها محاولة لتفسير شامل للوجود، وهي بنت العقل الخالص. العقل الذي يعلو بنا فوق ذواتنا، ويمنحنا الوعي بالوجود العميق، ويوغل بنا إلى حقائق الأشياء، وهي أسئلة تضمنها الشعر العربي الحديث الذي يشكل سؤالا كبيرا يبحث في تفسير العالم والوقوف على أسرار الحياة والكون بكل تفاصيله، حتى أصبح السؤال الفلسفي ظاهرة أسلوبية تستحق الدراسة والتحليل"⁽³³⁾.

إن مواجهة الأسئلة الفلسفية في الحياة بشكل دائم يتطلب لا شك استدعاءها في النصوص الشعرية، وذلك لأن الأسئلة الفلسفية هي بنات العقل، كذلك النص الشعري يرتبط بالعقل بشكل خالص، فيظهر السؤال الفلسفي الذي يحمله عقل الشاعر في نصوصه الشعرية، ولما كانت فلسفة الإيتيقا جزءا من الفلسفة، كان لا بد من ظهورها في النصوص الشعرية، لكن يبقى السؤال:

كيف ظهرت الفلسفة الإيتيقية في الشعر العربي المعاصر؟

إن السؤال الإيتيقي في الشعر العربي المعاصر يتمثل في البحث عن كيفية توظيف الشاعر العربي فلسفته الأخلاقية (الإيتيقية) في شعره، فكما بينا في القسم الأول من البحث أن الفلاسفة اتخذوا من فلسفة الإيتيقا اتجاهات متعددة كل بحسب خلفيته، فمنهم من رأى الإيتيقا تكمن في تحقيق الخير الأسمى والفضيلة، ومنهم من رأى أنها تتحقق بإسعاد الذات والبعد عن كل ما يؤذيها، ومنهم من رآها تكمن في تحقيق اللذة والرغبة، ومنهم من رآها تكمن في الحب، ومنهم من رآها في مواجهة الموت، ومنهم من رآها في الوجودية والاندماج مع الآلهة.

ومن الأسئلة التي يثيرها السؤال الفلسفي؛ سؤال الموت فقد "يستدعي الشعر الحديث من الفلسفة سؤالها عن الموت الذي يعد ظاهرة إنسانية وجدت مع وجود الكون والحياة، وهي ظاهرة شككت هاجسا، فمنهم من اتخذها موضوعا ارتبط باللغة الذاتية الحزينة للشعراء حتى عدت سمة رومانسية، ومنهم من اتخذها موضوعا ارتبط بمفهوم النضال والثورة والشهادة والانبعاث، ومنهم من ارتبط الموت عندهم بالغرابة"⁽³⁴⁾.

ويتضح مما سبق أن انفتاح الشعر على الفلسفة ليس بالأمر الغريب، بل أصبحت الفلسفة أداة تفكير الشاعر في الوجود وغيره من القضايا الفلسفية الإيتيقية وغيرها.

ولمفتاح عبد الهادي رأي في انفتاح الفلسفة على الشعر، حيث يري أن: "هذا البعد الشعري لماهية الفلسفة تستمد من طبيعة الأرض التي تتجذر فيها شجرتها كقصيد أصلي، كشرخام كحقيقة مقدمة للوجود من حيث هو حضور مؤسس على غياب، وكقوة خلاقة للعمل الفني، من حيث هو معركة دائمة في قلب الحقيقة"⁽³⁵⁾، وهو هنا يؤكد أن الشعر يستمد موضوعاته من الفلسفة التي يحملها الشاعر وتتجذر فيه، وأرى أن كل فرد يحمل في ذاته فلسفة مرتبطة بالفكر فإن كان الفكر وجودي وفلسفته وجودية ولا بد أن تظهر فلسفة في كل تعبيراته،

إن كانت نصوص أدبية أو غيرها...

إن السؤال الفلسفي الإيتيقي يظهر في الشعر العربي المعاصر في أوجه وأشكال متعددة، وكما ذكرنا في السابق أن الرؤية الإيتيقية تهدف للبحث عن السعادة في أشكال متعددة، فقد يظهر السؤال الإيتيقي من خلال الوجود والحياة والموت، وهي مرتبطة بما جاء في فلسفة دولوز، وقد يظهر السؤال الفلسفي محاولة استدعاء للأحلام، وهي ترمز للحياة السعيدة التي يتمناها الشاعر، أو في محاولة الهروب من الإنسان المهزوم سياسيا واجتماعيا واقتصاديا، أو من خلال البحث عن الوطن والأرض، أو في البحث عن الحياة ومعناها وإلى غير ذلك.

الخاتمة:

- في خاتمة البحث، أورد خلاصة أعرضها في نقاط محددة، وهي:
- إن موضوع علم الأخلاق هو الأعمال الإنسانية الإرادية أي الصادرة عن تفكير وإرادة من هذه النواحي المتشعبة كلها...
 - علم الأخلاق هو جزء من الفلسفة، ويرتبط فعليا بالجزء العملي التطبيقي.
 - الغاية من دراسة علم الأخلاق التهذيب والتربية وأنها تكسب صاحبها القدرة على تخيص الأعمال ونقدها وتقديرها حق قدرها.
 - ارتبط مفهوم الأخلاق عند الفلاسفة اليونانيين بالفضيلة والخير الأسمى منهم أفلاطون وأرسطو، وقد لجأت بعض الجماعات الفلسفية لعلم الأخلاق في سبيل البحث عن السعادة من خلال الفضيلة، هروبا من الواقع المعاش.
 - ارتبط مفهوم الإيتيقا عند الفلاسفة المعاصرين بالبحث عن السعادة، كل بحسب خلفيته وطريقة تفكيره، إما من خلال العقل ومنهج الشك كما عند ديكارت، وإما عن طريق اللذة والرغبة والجنس كما عند فوكو، وإما عن طريق التوفيق بين الحياة والموت كما عند دولوز...
 - إن الاختلاف بين الإيتيقا وعلم الأخلاق ظهر في الفلسفة المعاصرة، عندما ترك الفلاسفة المعاصرون البحث عن السعادة في الأخلاق وبدأوا يبحثون عنها في

- أمور حياتهم ورغباتهم وميولاتهم وخلفياتهم.
- ارتبطت الأخلاق بالشعر عند الفلاسفة اليونانيين وعند فلاسفة المسلمين، وكانت الأخلاق مطلباً للشعر.
- ارتبطت الإيتيقا بالشعر العربي المعاصر بأشكال اعتمدت على خلفيات الشعراء، كما ظهرت لدى الشعراء فلسفة الإيتيقا تعالج موقفاً إنسانياً ومطلباً شعبياً، وكان سبيلها البحث عن السعادة أو الهروب من واقع أليم.

الهوامش:

- 1 - انظر، محمد يوسف موسى: مباحث في فلسفة الأخلاق، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2017م، ص 9.
- 2 - ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين الأنصاري: لسان العرب، جزء (5)، ص 141.
- 3 - انظر، محمد يوسف موسى: مباحث في فلسفة الأخلاق، ص 9-12.
- 4 - انظر، أ. س. رابورث: مبادئ الفلسفة، ترجمة أحمد أمين، مؤسسة الهنداوي، المملكة المتحدة، 2014م، ص 64.
- 5 - انظر، محمد يوسف موسى: مباحث في فلسفة الأخلاق، ص 16-17.
- 6 - المرجع نفسه، ص 37-38.
- 7 - انظر، جلول معمر: الدراسات الفلسفية الأخلاقية في الفكر المغاربي المعاصر، إشراف صايم عبد الحليم، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة، جامعة وهران، كلية العلوم الاجتماعية، الجزائر، ص 13-15.
- 8 - محمد كمال إبراهيم جعفر: في الفلسفة والأخلاق، دكتوراه في الفلسفة، جامعة كبريج، دار الكتب الجامعية، القاهرة 1968م، ص 186.
- 9 - انظر، جلول معمر: الدراسات الفلسفية الأخلاقية في الفكر المغاربي المعاصر، ص 16-20.
- 10 - المرجع نفسه، ص 25-26.
- 11 - انظر، فردريك كوبلستون: تاريخ الفلسفة، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، المجلد الأول، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2002م، ص 542.

- 12 - جلول معمر: الدراسات الفلسفية الأخلاقية في الفكر المغربي المعاصر، ص 27.
- 13 - فردريك كوبلستون: تاريخ الفلسفة، ص 534.
- 14 - أ. س. رابورت: مبادئ الفلسفة، ص 49.
- 15 - انظر، نصر الدين شنوف: الإيتيقا في الفلسفة المعاصرة: فوكو، دولوز، باديو.
www.couua.com/2018/05/19
- 16 - المرجع نفسه.
- 17 - انظر، مصطفى الكيلاني: الدين والأخلاق في الفلسفة الغربية الحديثة، من ظمأ الدوغما إلى تباشير الحرية، دراسات، مايو 2018م. www.nizwa.com
- 18 - انظر، نصر الدين شنوف: الإيتيقا في الفلسفة المعاصرة.
- 19 - المرجع نفسه.
- 20 - بسام قطوس: موت النظرية النقدية رحلة النظرية النقدية من الولادة إلى الموت، دار فضاءات، ط1، عمان 2020م، ص 10.
- 21 - انظر، بسام قطوس: درويش على تخوم الفلسفة، أسئلة الفلسفة في شعر محمود درويش، دار فضاءات، ط1، عمان 2019م.
- 22 - المرجع نفسه.
- 23 - فؤاد هراجة: مفاهيم أساسية في الفلسفة الأخلاقية، مركز نقد وتنوير للدراسات الإنسانية، 6 سبتمبر 2021م.
- 24 - زهير الخويلدي: التجديد الإيتيقي بين هيدغر و ليفيناس وريكور، الحوار المتمدن، العدد 6518، 2020م.
- 25 - عبد الدائم السلامي: الميتا إيتيقا فن مساءلة الأخلاق، تونس، 17 يوليو 2018م.
- 26 - يورغن هابرماس: إيتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة، ترجمة عمر مهيل، الدار العربية للعلوم ناشرون - منشورات الاختلاف، ط1، بيروت - الجزائر 2010م، ص 7.
- 27 - انظر، عادل حدجماني: فيزياء الفكر، الألوان من أجل ثقافة عقلانية، 2013م.
www.alawan.org
- 28 - انظر، صليحة مديونة: نظرية المحاكاة بين الفلسفة والشعر، مذكرة ماجستير، إشراف محمد زمري، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2005م-2006م، ص 38.

- 29 - انظر، إحسان عباس: فن الشعر، دار بيروت، بيروت 1955م، ص 156.
- 30 - المصدر نفسه، ص 158-159.
- 31 - ألفت محمد كمال عبد العزيز: نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين، من الكندي حتى ابن رشد، دراسات أدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1984م، ص 152.
- 32 - انظر، المرجع نفسه: ص 159.
- 33 - صفاء عبد الحفيظ: تظاهرات السؤال الفلسفي في النص الشعري الحدائي، الجامعة المستنصرية، العراق، ص 5.
- 34 - المرجع نفسه، ص 11.
- 35 - عبد الهادي مفتاح: الشعر وماهية الفلسفة.
- www.fikrwanwkd.aljabriabed.net

References:

- 1 - 'Abbās, Iḥsān: Fann ash-shi'r, Dār Bayrut, Beirut 1955.
- 2 - 'Abd al-'Azīz, Ulfat Muḥammad Kamāl: Naẓariyyat ash-shi'r 'inda al-falāsifa al-muslimīn, Al-Hay'a al-Miṣriyya al-'Āmma li al-Kitāb, Cairo 1984.
- 3 - 'Abd al-Ḥafīz, Ṣafā': Tamaẓhurāt as-su'al al-falsafī fī annaṣṣ ash-shi'rī al-ḥadāthī, University of Mustansiriah, Baghdad.
- 4 - Al-Khuwildī, Zuhayr: At-tajdīd al-ittiqī, Al-Ḥiwār al-Mutamaddin, Issue 6518, 2020.
- 5 - Al-Sallāmī, 'Abd al-Dā'im: Al-mitā itiqā fann musāalat al-akhlāq, Tunis, 17 July 2018.
- 6 - Copleston, Frederick: Tārīkh al-falsafa, (History of Philosophy), translated by Imām 'Abd al-Fattāḥ Imām, Al-Majlis al-A'lā li al-Thaqāfa, Cairo 2002.
- 7 - Habermas, Jürgen: Itiqā al-munāqasha wa mas'alat al-ḥaqīqa, (L'éthique de la discussion et la question de la vérité), traduit par Omar Mhibel, Al-Dār al-'Arabiyya li al-'Ulūm Nāshirūn-Manshūrāt al-Ikhtilāf, Beyrouth-Alger, 1^{ère} ed., 2010.
- 8 - Harrāja, Fu'ad: Mafāhīm asāsiyya fī al-falsafa al-akhlāqiyya, Majallat Naqd wa Tanwīr, Marqaz Naqd wa Tanwīr, 6 September 2021.
- 9 - Ibn Manẓūr, Jamāl al-dīn: Lisān al-'Arab, Vol. 5.

- 10 - Ja'far, Muḥammad Kamal: Fī al-falsafa wa al-akhlāq, Dār al-Kutub al-Jāmi'iyya, Cairo 1968.
- 11 - Maâmar, Djelloul: Ad-dirāsāt al-falsafiyya al-akhlāqiyya fī al-fikr al-maghāribī al-mu'aşir, Mémoire de Magistère, Université d'Oran.
- 12 - Mediouna, Saliha: Naẓariyyat al-muḥākāt bayna al-falsafa wa ash-shi'r, Mémoire de Magistère, Université de Tlemcen, 2005-2006.
- 13 - Mūsā, Muḥammad Yūsuf: Mbāḥith fī falsafat al-akhlāq, Mu'assasat Hindawi, UK, 2017.
- 14 - Quṭṭus, Bassām: Darwīsh 'alā tukhūm al-falsafa, Dār Faḍā'āt, 1st ed., Amman 2019.
- 15 - Quṭṭus, Bassām: Mawt an-naẓariyya an-naqdiyya, Dār Faḍā'āt, 1st ed., Amman 2020.
- 16 - Rapoport, A. S.: Mabādi' al-falsafa, (Principles of Philosophy), translated by Aḥmad Amīn, Mu'assasat Hindawi, UK, 2014.

